



الديمقراطية والعدالة

والعلمانية تهتز في الهند

عبدالنبي الشعلة*

أحرض داعمًا على زيارة الهند بانتظام، وقد قضى بضعة أيام خلال شهر يناير الماضي في مومباي العاصمة التجارية والاقتصادية لها، وأقصى الآن بضعة أيام آخر في عاصمتها السياسية نيودلهي، التي وصلتها بتاريخ ٣ من الشهر نفسه، وهي تحفل فيه بـ"يوم الشهداء" الذي يقام كل عام تخليدًا لذكري اغتيال المهاجمان غاندي في مثل هذا اليوم من العام ١٩٤٨.

لقد قتل المهاجمان غاندي من قبل أحد الغلاة المنطرفين الهنود، الذين لم يقبلوا عواته للأغلبية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة، واعتبروا هذه الدعوات خيانة عظمى، كما كانوا يؤمنون بأن غاندي ضحى بصالح ومكاسب المسلمين لصالح المسلمين؛ فقرروا التخلص منه وتصفيته.

في مومباي ونيودلهي، التقى العديد من الأصدقاء ورجال السياسة والأعمال والإعلام وفعاليات نافذة أخرى، وأحسست بما يشعرون به من قلق وتوخُّف حول مستقبل الديمقراطية في بلادهم، ورأيت الهند في هاذين الزيارات، وهي تسبح في وسط موجات من الاحتجاجات والمظاهرات، وفي حالة غير معهودة من الانقسام والاحتقان الطائفي، وتغير واضح في المزاج العام مختلف مكونات المجتمع الهندي نتيجة لاستخدام حرب "بيهاريا جاتا" الحاكم، وهو حزب يميني هندوسي متطرف، ويساهم شعبية عرقية، وأساليب تصرّف أدت إلى تأجيج الطفرة القومية الهندوسية، وإلى خلق توترات قوية داثية ودينية؛ وذلك بهدف الدفع إلى الأداء بأجندة السياسية المعلنة التي تسعى لتحويل الهند إلى دولة دينية هندوسية "هندو راشتا" وقتلهم نفوذ وجود المسلمين فيها.

هذه السياسات والسياسات أصبحت الآن تُشكّل تهدِّدًا حقيقيًّا مباشِرًا للمبادئ والقيم الدستورية التي أرساها ورسخها الآباء والقادة المؤسّسون، وعلى رأسهم المهاجمان غاندي والباندت جواهر لال نهرو، والتي تتمثل في الديمقراطية والعلمانية والعدالة والتسامح.

وفي زيارات الأخيرة للهند، رأيت أيضًا أن المتعصبين الهنود ينجو بالفعل في استثمار الأعمال الإرهابية التي يقوم بها باسم الدين الإسلامي بعض الجماعات الإرهابية المتأسسة، ونجحوا كذلك في استirاد بضاعة أو دعوى الإسلاموفobia من الغرب لتشعال وتُاجِج مشاعر العداء والكراهية لل المسلمين في الهند، وتفسيق الخناق حولهم.

كما رأيت أن الحزب الحاكم في الهند لا يعارض، بل ربما يشجع هذه الممارسات والتصرفات ويستغل الظروف والأجواء الناتجة عنها لصد على صعيد الأداء الاقتصادي وتحقيق الماكاسب التي وعد بها متنبيه، وبالمعرفة بهذا الصدد أن علم السياسة في المدرسة الميكافيلية يتصحّر القادة المستبدّين بأنه في حالة إخفاقهم وفشلهم في تحقيق ما وعدوا به شعوبهم؛ ما عليهم إلا تشتيت وإبعاد وتحويم اهتمام شعوبهم عن الأهداف التي فشلوا في تحقيقها؛ وتحويم أنظارهم إلى مجالات وقضايا أخرى، وعلى رأسها خلق عادات وخلافات وتهديدات خارجية أو الأفضل افتتاح انشقاقات وتقوّيات داخلية.

ومنذ أن تالت الهند استقلالها قبل أكثر من سبعين عامًا، وأصبحت عضواً فعّالاً في الأسرة الدولية، العالم يُتابع وُراقب بكل توجّس وتقدير وإعجاب هذه التجربة الفريدة التي تواصل النجاح في تحقيق النمو والتطور والعدالة وإنساواه لشعبها في إطار وقوال ديمقراطية، وعلى أحسن ومباديء التعددية والعلمانية، على الرغم من الصعوبات والتحديات التي واجهتها.

لقد ولدت الهند الحديثة بعد مخاض عسير وكفاح طويّل مع الاستعمار البريطاني، ونالت استقلالها بعد دنال مرضن ومعاناة مريرة من أجل العطاء على وحدة أراضيها، لكن قادتها في ذلك الوقت من هنود ومسلمين لم يجدوا بداً أو مفرًا أو خيارًا آخر في النهاية إلا الرضوخ بطلب المسلمين، بقيادة محمد علي جناح،

إننا على ثقة تامة بأنَّ صدقتنا وشريكتنا الهند

ستتمكن من التغلب على هذه المحتلة الوطنية،

ومن تحطّي هذه المرحلة المصيرية بسلام.

*كاتب بحريني